

السلوك البشري في سياقه القرآني  
نحو تطوير مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان  
-دراسة مفاهيمية تأصيلية -

إبراهيم بوزيداني / Ibrahim Bouzidani

دكتور محاضر، جامعة إسطنبول كلية الإلهيات، قسم علم النفس الديني، تركيا

ibrahim.bouzidani@istanbul.edu.tr Orcid.org/0000-0003-3585-9352

Dr. Öğretim Görevlisi., Istanbul University Faculty of Theology, Department of Psychology of  
Religious, Turkey

ibrahim.bouzidani@istanbul.edu.tr Orcid.org/0000-0003-3585-9352

## ملخص

هدفت الدراسة إلى تطوير تقنية تشخيص سلوكي، تستند في جوهرها وتفصيلاتها إلى المرجعية الإسلامية، المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وما تمخض عنهما من معارف وعلوم. حيث ارتكزت عملية تطويرها على أساسين هامين "موضوعية الأخلاق" و "فطرية البصيرة". حيث ومن خلال الاعتماد على منهج "تحليل المحتوى الاستقرائي"، توصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم تناول السلوك البشري وصنّفه وفق خمسة سياقات كبرى، هي: العضوي –البيولوجي-، الموضوعي، النسقي، الجغرافي –المكاني-، وأخيراً الزماني. كما أضافت الدراسة دورية السلوك وتكراره، وكذا النية والمقصد الموجه للسلوك للأنساق الخمسة سابقة الذكر، لتشكل في الأخير مصفوفة اصطلاح على تسميتها "مصفوفة التصنيف القرآني للسلوك". هذا المصفوفة تساعد الإنسان على تشخيص سلوكه وتفكيكه من أجل التعرف على مكامن الضعف والقوة في أنماطه السلوكية، من الرقي بالحسن للأحسن، وتقويم المنحرف منه، لتحقيق حوهره الأسمى المتمثل في إنسانيته، ومنه إلى التحقيق العملي لمفهوم الحياة الطيبة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، مصفوفة السلوك، العبودية، الإنسانية، موضوعية الأخلاق، فطرية البصيرة.

## مقدمة

تعتبر المدرسة النفسية الإسلامية متميزة في نظرتها للسلوك البشري، لذلك نجدها تولي قدراً كبيراً من الاهتمام لتوجيه الوجهة الصحيحة. حيث تعتمد في تحقيق ذلك على أساسين هامين هما "موضوعية الأخلاق" و "فطرية البصيرة". ذلك أن في الإنسان قابليتي "التأثر" و "التأثير"، لذا كان لابد من صيانة قابلية التأثير لديه، حتى لا يكون مصدراً للفوضى السلوكية السلبية في الوجود الإنساني المتعدد، ولكي لا يكون في الوقت نفسه مجالاً رحباً للمؤثرات الخارجية المنافية للفطرة السلمية، والذوق الرفيع والكمالات الإنسانية. وبهذا يظل هذا الإنسان سليماً لتظل تأثيراته سليمة صحيحة. هذا المسار الذي رسمه الدين الإسلامي في نظره الكلية للسلوك البشري، يكون من خلال الاتباع والافتداء بما جاء في مصادره الأساسية، المتمثلة في القرآن الكريم، والسنة النبوية.

وبناء على هذه الأهمية، فلقد استوعب القرآن الكريم كل طرائق وأساليب قراءة وتصنيف الفعل البشري. بحيث لم يترك للإنسان أي فراغ معرفي في هذا الصدد. ويهدف الوصول إلى هذه الحقيقة تم الاعتماد في هذه الدراسة على تقنية "تحليل المحتوى الاستقرائي-Inductive Content Analysis"، وهي من التقنيات البحثية المعتمدة. حيث تركز على وصف البيانات النصية، وتفسيرها، باستخدام عملية منهجية للترميز، والتفسير، تهدف إلى تطوير المعرفة وفهم الظاهرة قيد الدراسة. وهي منهجية تناسب وطبيعة دراستنا، كونها تهدف لاستقراء نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن القرآن الكريم تحدث عن خمسة سياقات عامة يمكن أن تتشكل فيها أو بها السلوكات البشرية، وتتمثل في الآتي: أولاً- التصنيف العضوي البيولوجي: ويشمل الأعضاء التي قد يستخدمها الإنسان في إحداث الحركة أو الفعل. ثانياً- التصنيف الموضعي -داخلي/خارجي:- وهو ما يصدر من أفعال داخلية -باطنية- من أفكار ومشاعرٍ، أو خارجية مثل الكلام، والبطش، وغيرها. ثالثاً- التصنيف النسقي: ويقصد به ما هي الفئات أو الأنساق الاجتماعية التي يتعامل معها الإنسان. رابعاً- التصنيف الجغرافي -المكاني:- وهو الفضاء الجغرافي الذي قد يقع فيه الفعل البشري. خامساً وأخيراً- التصنيف الزماني: والمقصود به السياق الزماني الذي قد تقع فيه الحركة والفعل البشري.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تطوير مقاربة تكاملية تضع كل التصنيفات السابقة للسلوك ضمن آلية للتصنيف السلوكي، ودوريتها، لنحصل على ما يمكن تسميته بـ "مصفوفة التصنيف القرآني للفعل البشري".

هذه الأخيرة تساعد في معالجة السلوك بكل مكوناته المعرفية، والعاطفية، والروحية، والحركية، بطريقة منهجية مبتكرة، تتيح للمختص في العلاج السلوكي وغير المختص -على حد سواء-، على تحليل سلوكه بمنهجية وتصنيف العادات بدقة، ومعرفة حقيقتها، وبالتالي تساعدنا على دعمها وتطورها إن كانت إيجابية، أو التخلص منها إن كانت سلبية.

### منهجية الدراسة

تمّ اعتماد منهج "تحليل المحتوى الاستقرائي Inductive Content Analysis"، لمناسبتة موضع البحث المطروق في هذه الدراسة، وهو من التقنيات البحثية المعتمدة، وتستخدم في العديد من فروع العلم والمعرفة. حيث تركز هذه التقنية على وصف البيانات النصية، وتفسيرها، باستخدام عملية منهجية للترميز، والتفسير، بغرض تطوير المعرفة والفهم للظاهرة قيد الدراسة. وهي منهجية تتناسب وطبيعة دراستنا، كونها تهدف لاستقراء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وما ورد من قراءات معرفية حوله هذه النصوص من طرف العلماء والباحثين، قديماً وحديثاً، حول حقيقة السلوك البشري، وما يحويه من تفاصيل نظرية واجرائية؛ ومن ثمّ استخلاص الموارد المعرفية التي تساعدنا في رسم معالم المنهجية العلمية والعملية المتعلقة بدراسة السلوك البشري ضمن السياق القرآني. يرى بعض الباحثين أن لتقنية "تحليل المحتوى الاستقرائي" خمس خطوات أساسية، يجب استيفاؤها حتى يحقق الباحث مراده المعرفي، وهي كالآتي: الخطوة الأولى، قراءة وفهم النصوص المراد دراستها، والخطوة الثانية تتمثل في تحديد الصورة الكبرى للموضوع المستهدف بالدراسة؛ أما الخطوة الثالثة، فتهدف للوصول إلى المعنى والنصوص الدقيقة المعبرة عن موضوع الدراسة؛ بعد عملية التدقيق السابقة تأتي الخطوة الرابعة لتركز النقاط النوعية في النصوص، والتي تعتبر المداخل الأساسية لمكونات وعناصر الدراسة، لذلك نجد من الباحثين من يفضل تسمية هذه التقنية بـ "تحليل المحتوى النوعي Qualitative Content Analysis"؛ وتختتم هذه التقنية بخطوة خامسة تتمثل في التوليف والتفسير لتلك المعلومات النوعية المستقاة من النصوص الأصلية أو الفرعية، وإعادة بناء منتج معرفي

جديد<sup>1</sup>. بهذا وبناء على ما سبق، ستكون الخطوات التي رسمها هذا المنهج سبيلاً متبعاً من أجل الوصول إلى الفائدة المرجوة، والمتمثلة في تحديد ما يمكن تسميته بـ "مصفوفة التصنيف القرآني للفعل البشري"<sup>2</sup>.

### مفهوم الإنسان، ضمن الطرح المادي والطرح القرآني

لا يمكن الحديث عن السلوك البشري، وتفاصيل ما يتعلق به من قراءات نظرية، وميكانيزمات عملية، دون التطرق لماهية الإنسان، وفهم الإطار النظري الحاكم لتوجهنا التحليلي للسلوك. فحين نعلم أنه يستحيل خلوُّ أي منظور نفسي مهما كانت درجة عمقه أو سطحيته، من فلسفة معرفية حاكمة للأسلوب العلاجي أو التوجيهي والإرشادي. ولا أدل على ذلك من تصريح كارل روجرس Carl Rogers (1902-1987)، وهو أحد رواد المدرسة (الإنسانية) في علم النفس حيث قال: " لكل تيار في علم النفس فلسفته الضمنية الخاصة به عن الإنسان. وهذه الفلسفات، وإن كانت في الأغلب لا تطلق بصراحة، تمارس نفوذها بأساليب خفية هامة"<sup>3</sup>. حيث تعتبر هذه المسألة هي جوهر الخلاف بين المنظور الإسلامي للإنسان وسلوكه مع بقية المنظورات المادية في الشرق والغرب. لذلك يعتبر الخطأ في مفهوم الإنسان مسبباً للوقوع في خطأ أكبر وأعمق من الخطأ في المنهج المستعمل في دراسة ظاهرة ما<sup>4</sup>. لأن تعاملنا مع الإنسان، وتصميم طرائق علاجه وإرشاده، هو نتيجة طبيعة لتصورنا لحقيقته، فـ "الحكم على شيء فرع عن تصوره كما تقول القاعدة الفقهية"، "لأن تصوير المسائل على وجهها ثم نقل أحكامها بعد استتمام تصويرها جليانها وخفياتها لا يقوم به إلا فقيه النفس، ذو حظٍّ من الفقه"<sup>5</sup>.

تعددت تصورات رواد المدارس النفسية حول الإنسان، فمنهم من اعتبرته "خاضعاً"، وهو ما ذهب إليه رائد المدرسة (السلوكية)، فريدريك سكينر B. F. Skinner (1904-1990)، حيث يرى أن الإنسان كائن بيولوجي، لا خيار له في آرائه إلا في مستوى خياراته في الهضم الذي يجري في بطنه. كما أنه لا يؤثر في العالم،

---

<sup>1</sup> Vears, D.F., & Gillam, L., "Inductive content analysis: A guide for beginning qualitative researchers. Focus on Health Professional Education", A Multi-Professional Journal. 23/1 (2022): 111-127.

<sup>2</sup> نشير أننا اعتمدنا أيضاً على المنهج المقارن في بعض جوانب الدراسة، وخاصة ما تعلق بالمقارنة بين المدرسة النفسية الإسلامية والغربية حول مفهوم الإنسان، وجوهره.

<sup>3</sup> روبرت أغروس، و جورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال خلايلي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989)، ص 112.

<sup>4</sup> محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، ط2، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2002)، ص 121.

<sup>5</sup> ابن الصلاح الشهرزوري، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق: موفق عبد الله بن عبد القادر (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1986)، ص 100.

بل العالم هو الذي يؤثر فيه<sup>6</sup>. أما لورانس Konrad Lorenz (1903-1989)، الذي تبني النظرية التطورية كموجه فكري، اعتبر الإنسان كائنًا "مبرمجًا"، فالنسبة له فالإعداد عند تكوين الأنواع ليس إعداداً للأعضاء فقط، بل لوظائفها أيضاً. وطريقتنا في التعامل مع الواقع ليست نعمة من السماء، بل نتيجة تطور بيولوجي<sup>7</sup>. في حين اعتبر فرويد Sigmund Freud (1856-1939)، الإنسان كياناً "منقسماً"، حيث يعيش صراعاً قائماً في نفسه، هذا الصراع الناتج عن تباين وظائف جوانب الشخصية الثلاثة: الهو (Id) بما يحمل من رغبات جنسية محرمة، والأنا (Ego) بما يمثله من قيم وتقاليد ومعايير المجتمع، والأنا الأعلى (Super - Ego) وبما يمثله من ضمير والمثل العليا للفرد، وان الحياة اللاواعية هي الأصل الحاكم في الحياة الواعية للإنسان، وبالتالي أصبح الإنسان في نظره غير مكلف ولا مسؤول<sup>8</sup>. وعلى هذه التصورات أسست الشخصيات السابقة منظوماتها العلاجية والإرشادية<sup>9</sup>.

لكن بالمقابل، واستناداً لمحورية مفهوم الإنسان وآثرها العميق في تصميم المناهج النظرية والبرامج العملية الحاكمة لمختلف مناحي حياة الإنسان، نجد المدرسة النفسية الإسلامية اعتنت عناية قصوى بتعريف الإنسان بحقيقته وأصله. وهذا ليكون هذا التصور لحقيقته وأصله، ومصيره الحاكم لكل علومه وأعماله. فلقد ذكرت مفردة (إنسان) في القرآن الكريم (65) مرة، تسعة (9) منها في القرآن المدني، والباقي كله في السور المكية. وهو دلالة واضحة على أن المنهجية الدعوية والإصلاحية التي جسدها رسول الله وأصحابه رضوان الله عليهم، كانت مؤسسة على عقيدة راسخة حول الماهية الحقيقية للإنسان. بالإضافة إلى ذلك، وهو دليل آخر على محورية مفهوم الإنسان في الدين الإنسان، وما ينبثق منه من مدارس وتوجهات، نجد أن قصة آدم عليه السلام قد وردت في القرآن الكريم سبع مرات (7)، وذكر اسمه خمس وعشرين (25) مرة<sup>10</sup>. وورود هذه القصة بصيغ مختلفة هذا يوحي بأهمية حقيقة ماهية الإنسان وتاريخ نشأته وظهوره في هذه الحياة. وهذه الإيرادات المتنوعة للقصة الواحدة كما يشير الألوسي (ت. 167هـ) في "روح المعاني"، في حديثه

<sup>6</sup> Brennan, J. F., *History and systems of psychology*, (New Jersey: Prentice-Hall, 1998), p 274.

<sup>7</sup> Ibid. p 313.

<sup>8</sup> Ibid. p 229.

<sup>9</sup> نزار العاني، الإسلام وعلم النفس: مسرد "ببيلوغرافيا" لبحوث ودراسات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ط1، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008)، ص 15.

<sup>10</sup> أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية مقارنة، ط1، (المغرب: الدار المغربية للنشر والتوزيع، 2024)، ص 7.

عن قصة آدام عليه السلام وإبليس، يؤكد على أهمية الموضوع المذكور، والفوائد المتنوعة باختلاف الضياعات والسياقات التي ذكرت فيها<sup>11</sup>.

وعليه فقد ذكر مفردة (الإنسان)، وجاءت قصة آدم لتأرخ حياة البشرية كلها، كما أنها جاءت حكماً يفصل في النظريات التي تحدثت عن أصل الإنسان. وقد لخص بوعود (2024)<sup>12</sup>، و الواعظي (2016)<sup>13</sup>، في دراستهما جملة من خصائص الإنسان من المنظور القرآني والتي تتمثل فيما يلي:

1. الإنسان خلق بأمر من الله، بصورة كاملة حسنة وفي أحسن تقويم.
  2. الإنسان جسد وروح.
  3. للإنسان إرادة تحكم سلوكه.
  4. الإنسان له عواطف وفكر وحركة.
  5. الإنسان مخلوق له قابلية الخطأ والصواب.
  6. الإنسان مخلوق إجتماعي.
  7. للإنسان القدرة على تصحيح أخطائه من خلال التَّعَلُّم.
  8. الإنسان يعرف سبيل صحته النفسية، وأساليب السعادة الدنيوية والأخروية.
  9. الإنسان يعرف من أين أتى، وما دوره في الحياة، وما هو مصيره.
- وبهذا نجد أن القرآن الكريم قد رسم معالماً واضحة تتعلق بتفاصيل الإنسان، نشأة، ووظيفة، ومصيراً. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد رغم تفصيله، وشموله، بل نجد أن علماء الإسلام قد خاضوا بالنقاش والدراسة في مفهوم الجوهر الإنساني، ففي الوقت الذي جاءت الحضارة المادي لتلخص جوهر الإنسان في بعده البيولوجي، بعد أن تجاوزت منطق التعقل الذي جاء به فلاسفة اليونان، نجد أن علماء الإسلام وصلوا إلى تحقيق مبدأ أكثر عمقاً وتوازناً في تحديد جوهر الإنسان، وهو الأمر الذي يدفعنا للحديث عن حقيقة "إنسانية" الإنسان.

## الدين الإسلامي وإنسانية الإنسان

<sup>11</sup> أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج 8، ج 15-16، (الآية 1) سورة الإسراء-الآية (135) سورة طه)، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994)، ص 278.

<sup>12</sup> أحمد أبو العود، ص 44-241.

<sup>13</sup> أحمد واعظي، الإنسان من منظور الإسلام، ترجمة: عبد الله أبوغبيش، ط1، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2016)، ص 83-177.

في المراحل الأولى لخروج أوروبا من سيطرت الكنيسة ظهرت عقليات متطرفة في تقدير العلم، ومعادية بشكل كبير لمعتقدات وأفكار الكنيسة. وبرزت ثلاثة مواقف بأوروبا عمدت إلى تحقير الإنسان والحط من قيمته، حيث ركزت على البعد المادي فيه، وألغت البعد الغائي. حيث تعرض العالم الغربي لضربتين كبيرتين، كانت الضربة الأولى والتي أطلق عليها إسم "فقدان المركزية"، على يد الفلكي كوبرنيكوس Copernicus (1473-1543) الذي خلع الإنسان "المغرور" عن عرشه في مركز الكون، وعلى ضرورة تسليمه أنه مخلوق بالغ الصغر. يسكن كوكبا تافها يدور حول نجم لا شأن له. ذلك أن منطق المادية ينكر الغائية، ذاهبا إلى أن الكون ليس سوى مادة، وبالتالي لا يمكن أن يكون في الأشياء الطبيعية أي هدف، لأن المادة لا تستطيع أن تقصد هدفا أو ترسم خطة، بل تتصرف بضرورة ميكانيكية داخلية فحسب. وبالتالي يتحتم على التفسيرات العلمية أن تقتصر على الأسباب المادية والميكانيكية فحسب<sup>14</sup>.

أما الضربة الثانية، والتي سميت بـ "فقدان التصميم الرشيد" فكانت على يد داروين Charles Darwin (1802-1882)، وتمثلت في تدمير مكانة البشر المفترضة بين الخلق، وأثبتت أن الإنسان ليس إستثناء في مملكة الحيوان<sup>15</sup>. عُرِّزَت هاتان الضربتان بضربة ثالثة لعالم النفس فرويد والتي سميت بـ "فقدان الوضوح"، حيث عبّر عنها فرويد Sigmund Freud (1856-1939) بأن الوعي أو الشعور ليس هو المسيطر حتى على زمام الأمور في جسده. بل إن "الأنا" في أصله مسيطر عليه بدوافع اللاوعي، التي لا يعلم عنها شيئا، فهي ليست واضحة له، وبالتالي تستحيل سيطرته عليها<sup>16</sup>. لقد سيطرت تلك المفاهيم القائلة أن الإنسان "التافه" الموجود على أرض "تائهة" في كون "غامض"، رغم ظلامية هذه الأفكار، لأنها مفاهيم قدمها العلم التجريبي -حسب رأيهم-، الذي أصبح المصدر الوحيد لتعريف الإنسان.

كانت كل هذه المخرجات نتيجة طبيعية لعودة انبعاث حركة الفكر اليونانية واللاتيني القديم الذي سطر معالمه الأولى الفيلسوف والسياسي الروماني شيشرون Marcus Cicero (106-43 ق.م)، أب المدرسة "الإنسانية"، والذي عرّف الإنسان المتحضر بأنه: "ذلك الإنسان القادر على التفلسف في الأمور الإنسانية، بينما يقوم أيضا بتدريب الصفوة على مهارات الخطابة العامة والإقناع"، هذه الرؤية التي جعلت جوهر الإنساني يتمثل في تعقله، نجدها تتطور لتسلخ عنه الدين والغاية على يد رسول المذهب الإنساني إراسموس

<sup>14</sup> روبرت أغروس، و جورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ص 53.

<sup>15</sup> فريدل فاينرت، كوبرنيكوس وداروين وفرويد: ثورات في تاريخ وفلسفة العلم، ترجمة: أحمد شكل، مراجعة: محمد فتحي خضر، (المملكة المتحدة: مؤسسة الهنداوي، 2017)، ص 268.

<sup>16</sup> فريدل فاينرت، كوبرنيكوس وداروين وفرويد: ثورات في تاريخ وفلسفة العلم، ص 269.

Desiderius Erasmus (1469-1536) في القرن الخامس عشر (15)، لتختتم بالفلسفة المادية التي تهاجم روح الإنسان وجوهره كما هاجم الدين قبله<sup>17</sup>.

كما أن المدرسة النفسية الإسلامية لم تقصر في التأكيد على أهمية مفهوم الإنسان وحقيقته، لم تقصر أيضا في تحديد الجوهر الإنساني للإنسان. ولقد تصدى لهذه المسألة الحساسة الراغب الأصبهاني (ت. 506هـ)، في كتابه "تفصيل النشأتين". حيث اعتبر "الإنسانية" ميزة يكتسبها الإنسان، وأنها هي الموصلة للسعادتين، الدنيوية والأخروية. فالإنسانية بالنسبة له، ليست ميزة لكل "إنسان"، وإنما هي ميزة تحصل فقط شروط حددها الشرع الحكيم، حيث يقول: "ولم أعن بالإنسان كل حيوان منتصب القامة، عريض الظهر، أملس البشرة، ضاحك الوجه، ممن:

|                       |   |
|-----------------------|---|
| ينطقون                | لكن عن هوى  |
| يتعلمون               | لكن ما يضرهم ولا ينفعهم                             |
| يعلمون                | لكن/ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون |
| يكتبون الكتاب بأيديهم | ولكن يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا   |
| يجادلون               | ولكن بالباطل ليدحضوا به الحق                        |
| يؤمنون                | لكن بالحب والطاغوت                                  |
| ويعبدون               | لكن من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم              |
| ويبیتون               | ولكن ما لا يرضى من القول                            |
| ويأتون الصلاة         | ولكن كسالى ولا يذكرن الله إلا قليلا                 |
| يصلون                 | ولكن من المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون            |
| ويذكرون               | ولكن إذا ذكروا لا يذكرون                            |
| ويدعون                | ولكن مع الله إلهة أخرى                              |
| وينفقون               | ولكن لا ينفقون إلا وهم كارهون                       |
| ويحكمون               | ولكن حكم الجاهلية ييغون                             |
| ويحلفون               | ولكن يحلفون بالله وهم كاذبون                        |

<sup>17</sup> جيرى بروتون، عصر النهضة: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: إبراهيم البيلي محروس، مراجعة: هبة نجيب مغربي، ط1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص 43.



فهؤلاء وإن كانوا بالصورة المحسوسة ناساً، فهم بالصورة المعقولة لا ناسٌ ولا نسناسٌ<sup>18</sup>. تلك الأوصاف المتعلقة بانتصاب القامة، وعرض الظَّفر بالنسبة له، تعبر عن الصورة المحسوسة للإنسان. لكن الأصل هو أنَّ "الإنسان" يقال على ضربين: عام وخاص، فالعام: "أن يقال لكل منتصب القامة مختص بقوة الفكر واستفادة العلم"، أمَّا الخاص فيوصف به من: "عرف الحق فاعتقده والخير فعمله بحسب وسعه، وهذا معنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون فيه تفاوتاً بعيداً، وبحسب تحصيله يستحق الإنسانية وهي تعاطي الفعل المختص بالإنسان فيقال فلان أكثر إنسانية"<sup>19</sup>.

بهذا نصل إلى نتيجة مفادها أنَّ ماهية الإنسان وجوهره المتمثل في "إنسانيته" في العقيدة الإسلامية، متميز من الناحية المفاهيمية عن باقي الأديان والفلسفات، ذلك حسب ما يشير النجار (1988)، "أن القرآن يجعل شهادة التوحيد عنصراً من طبيعة الماهية الإنسانية التي خلقَ عليها الإنسان، وهو ما عبّر عنها بـ (الفطرة) كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [الروم: 30]، ... فماهية الإنسان بالمعنى العام منطوية على التوحيد، إلا أن ذلك التوحيد لا يتحقق بالفعل ليصبح ماهية بالمعنى الخاص إلا بالسعي إلى تحصيل الحق والعمل به"<sup>20</sup>. وهذه الحقيقة تدفعنا للحديث عن معادلة السلوك وعلاقته بالعبادة في حياة المسلم، و المنظور الكلي لفلسفة السلوك في المدرسة النفسية الإسلامية.

## الدين والمنظور الكلي للسلوك الإنساني

### 1- العبادات، سبيل تحقيق وتعميق مفهوم الإنسانية

العبادة في اللغة: الطاعة<sup>21</sup>، وأصل "العبودية" عند ابن منظور، الخضوع والتذلل<sup>22</sup>. أما الجرجاني فيعرف "العبادة" بأنها: فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه<sup>23</sup>. وفي الاصطلاح، يعرفها ابن تيمية رحمه الله: بأنها: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"<sup>24</sup>، هذا التعريف الجامع المانع للعبادة، يوضح أن الأفعال التي تعبّد الله بها عباده شملت مختلف الأنماط السلوكية، فكل ما يحبه الله

<sup>18</sup> الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق: عبد المجيد النجار، ط1، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1988)، ص 52.

<sup>19</sup> الراغب الأصفهاني، ص 87-88.

<sup>20</sup> الراغب الأصفهاني، ص 88.

<sup>21</sup> أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج3، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ) ص 272.

<sup>22</sup> أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، ص 271.

<sup>23</sup> أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ) ص 149.

<sup>24</sup> عبد الحلیم بن تيمية، شرح العبودية، شرح: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ط1، (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 1998) ص 6.

عزَّ وجل، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، من أعمال القلوب أو الجوارح واستصحب بنِيَّة سليمة يدخل في دائرة العبادة، ويخرج منها كل فعل أو قول لا يحبه الخالق عزَّ وجل.

لذلك سنجد عند تتبعنا لنصوص القرآن الكريم، إن هناك شمولية ونظرة كلية في تناسق الأوامر والنواهي الشرعية مع أنماط السلوك المتعددة التي يمكن أن تبدر من الإنسان. فعلى سبيل المثال، يحرم على المسلمين الظن السيء بغيرهم من المسلمين، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات: 12]، وهذا أمر إلهي بضرورة تعديل سلوكهم الفكري. أما في الجانب العاطفي فجد أن الدين الإسلامي يحث أتباعه على ضرورة تعميق عاطفة الحب بينهم، حيث ورد في الحديث القدسي الذي رواه الترمذي: (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)<sup>25</sup>. أما فيما يخص الجانب السلوكي فلقد وردت الكثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الحاثّة على أنواع مختلفة من السلوكيات، التي تعتبر من السبل الموصلة لتحقيق إنسانيته، وفيما يلي أمثلة أخرى على جملة من النصوص القرآنية التي تتحدث عن أنواع من العبادات تشمل الجوانب الفعلية -الإجرائية-، والفكرية، والشعورية:

- أمثلة عن العبادات الشعورية "العاطفية":

- 1- الخوف: قال الله تعالى: (وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 175].
- 2- الرجاء: قال الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [الإسراء: 57].
- 3- الاستعانة: قال الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5].

- أمثلة عن العبادات الفكرية:

- 1- التدبُّر: قال الله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: 82].
- 2- التفكير: قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: 190-191].

<sup>25</sup> محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، ط1، (الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، 2010)، حديث رقم: 2390 ص

3- التأمل: قال اله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) [السجدة: 27].

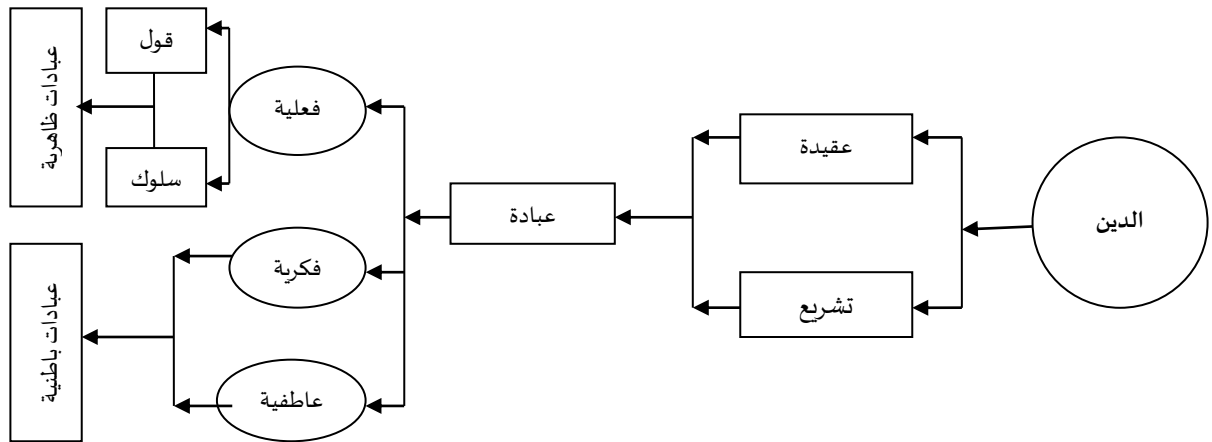
- أمثلة عن العبادات السلوكية:

1- الصَّوم: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: 183].

2- الزَّكَاةُ: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: 254].

3- الحجُّ: قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حِجًّا مُبْتَدِئًا مِنْ سَبِيلٍ أَلَيْسَ اللَّهُ غَنِيًّا عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: 97].

هذه بعض الأمثلة، وهناك غيرها من النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية يؤكد بوضوح أن تعاليم الدين الإسلامي وتشريعاته جاءت مستوعبة لكل الأبعاد المشكِّلة لأنماط السلوك البشري. إذن أننا نلاحظ أن الدين الإسلامي يحوى قسماً تشريعياً وآخر إعتقادياً. فالجانب التشريعي يسن القوانين الإلهية المنظمة للحياة الفردية والاجتماعية، أما العقيدة فهي العمق المعرفي للجانب التشريعي. ونجد أن كل من الجانبين التشريعي والإعتقادي له إنعكاسات على أفكار وعواطف وسلوكيات المنتسبين إليه<sup>26</sup>. ويصطلح على تسمية إنعكاسات الجانبين التشريعي والإعتقادي على السلوك والفكر والشعور بالعبادة. ويمكن تلخيص ما ذكرناه سابقاً في المخطط رقم (01) التي:



<sup>26</sup> Loewenthal, Kate, M., *The Psychology of Religion: A Short Introduction*, (Oxford: Oneworld Publication, 2010), p1-47.

وبهذا نجد أن النظام التعبدى، الاعتقادي والتشريعي في الدين الإسلامى ينسجم مع سيكولوجية الإنسان وأنماطه السلوكية المتعددة، وبهذا يكون الإنسان قادراً على تحقيق العبودية مع ما ركب فيه من أفكار، وعوظف، وأفعال، ولعل هذه الحقيقة تنسجم مع قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286].

بعد التطرق لنظرة المدرسة النفسية الإسلامية لماهية الإنسان، ورأينا كيف انها بينت له بوضوح، ماهيته، وغاياته، وحقائقه الوجودية، ووضحت له جوهره الذى يتمثل في إنسانيته، والتي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال العبودية، وبيننا أن العبودية في الدين الإسلام جاءت متوافقة مع خصائص الإنسان البويولوجية والسيكولوجية، وجاءت شاملة مستوعبة لكل أنماط السلوك الداخلى والخارجي، تمكنه من تحقيق مفهوم العبودية الشاملة المتضمنة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]، نأتى الآن للحديث عن الفلسفة السلوكية المميزة للمدرسة النفسية الإسلامية من حيث السياقات السيكولوجية التطبيقية.

## 2- المقاصد الكلية للسلوك الإنسانى

تعتبر المدرسة النفسية الإسلامية متميزة في نظرتها للسلوك البشرى، وما أولته له من اهتمام من أجل توجيهه الوجهة الصحيحة. ذلك أن في الإنسان قابليتي "التأثر" و "التأثير"، فكان لابد من صيانة قابلية التأثير لديه حتى لا يكون مصدر للفوضى السلوكية السلبية في الوجود الإنسانى المتعدد، ولكي لا يكون في الوقت نفسه مجالا رحبا للمؤثرات الخارجية المنافية للفطرة السلمية، وتحقيق إنسانية. وبهذا يظل هذا الإنسان سليماً لتظل تأثيراته سليمة صحيحة. فالنظرة الإسلامية للسلوك البشرى مؤسسة على حقيقة وجودية تقرّر أن: "السلوك البشرى لا ينعكس على حياة الإنسان الخاصة فحسب، بل على الموجودات كافة بشكل مباشر أو غير مباشر إذ ما من قوة إلا ولها أثر"<sup>27</sup>. وعلل بركة (1400هـ) التوجه السابق حيث قال:

"... والإسلام يعتمد في توجيه السلوك البشرى على (موضوعية الأخلاق) و (فطرية البصيرة) التي تدركها في بساطة ونقاء، وفي الوقت نفسه تزود الإنسان بالطاقة والقدرة وتنفع فيه العزيمة والإرادة للوفاء بمقتضياتها، وتتدخل في

<sup>27</sup> أحمد عبد الرحيم السايح، الحكيم الترمذى ونظريته في السلوك، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2006)، ص 193.

الأحوال التي تلتبس فيها الأمور على هذه البصيرة الفطرية أو التي تغلب فيها الشهوات والرغبات البشرية لتجلو وجه الحق، وتبرز معالم الخير والبر، ومن هذه الناحية تلبس الأخلاق ثوبها الإسلامي وتصبغ بالصبغة الإسلامية ويصبح الوفاء بمقتضياتها والتمسك بقواعدها مبنياً على المعنى القائم بالعقيدة بحيث يجد الإنسان في امتثال هذه الأخلاق الإسلامية توافقاً بينه وبين عقيدته يبعث في نفسه الرضا والاطمئنان والاستقرار"<sup>28</sup>

فموضوعية الأخلاق، حسب يالجن (2003) تشير إلى الانسجام والتوافق بين ما جاء به الإسلام من مبادئ، وسلوك الإنسان في هذه الحياة، سواء كان هذا السلوك مع نفسه [حالة التأثر] أو مع غيره [حالة التأثير]<sup>29</sup>، وهو عين المعنى الذي هدفت هذه الدراسة حيث سعت لإثبات أن هناك انسجام بنائياً بين الطبيعة السيكلوجية للإنسان، ووبنية التعاليم الشرعية لتحقيق (الموضوعية الأخلاقية) الذي يتناغم مع المفهوم الكلي (للعبودية). فمن خلال موضوعية الأخلاق والسلوكات التي يلتزم بها الإنسان المسلم، تتحقق معاني عبوديته لخالقه سبحانه، وهذا الالتزام والانضباط السلوكي المستند للهدى الرباني تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ - وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15-16]، يوصلان الإنسان لتحقيق (إنسانيته)، والتي تمثل مبدأ (فطرية البصيرة)، اتساقاً مع قوله عليه الصلاة والسلام: (كلُّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...) <sup>30</sup>.

إنَّ مبدأ (الموضوعية الأخلاقية - العبودية-)، و(فطرية البصيرة - الإنسانية-)، يتوافقان مع المنظور الحديث لعلم النفس في تعريفه للسلوك، حيث اعتبر السلوك: "الحركة الداخلية والخارجية في كيان الإنسان كنتيجة للتفاعل مع المحيط الخارجي"<sup>31</sup>، فهو يشمل كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل، وما يبتناه من اعتقاد أو قصد. فالسلوك بهذا الاعتبار يمثل سلسلة من من العمليات المتتالية، وبشكل يجعل من مجموعها صيغة فعلية واحدة، تؤدي غرضها بعد أن تتجسد حقيقة سلوكية. والسلوك البشري - كما أشرنا في التعريف - يستند على ركائز أهمها: المثير، والغاية، والنية، والقصد. فالمثير هو المنبه الذي يوقظ في نفس الإنسان الإحساس والاتجاه نحو فعل من الأفعال. وينحصر دوره في لفت النظر وتحريك قوى الإنسان. فكل

<sup>28</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة، دراسة ونصوص في التصوف والأخلاق، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1400هـ)، ص 33-34.

<sup>29</sup> مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلامية، ط2، (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، 2003)، ص 297.

<sup>30</sup> محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط2، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1999)، حديث رقم: 1386، ص 222.

<sup>31</sup> Colman Andrew, M., Oxford Dictionary of Psychology, 2<sup>nd</sup>. Ed, (Oxford University Press, 2006), p 84.

موضوع يلقي في الانسان وازع الحركة يعتبر مثيراً. ويُحدِث المثير سلوكاً معيناً عبر سلسلة من الأحداث تتمثل في:

1- الاحساس بالمثير: وذلك عن طريق الحواس المادية (السمع، البصر، الشم، اللمس، الذوق)، والمعنوية (السرور، الحزن، الاشراق الروحي، اللذة، الألم، ...)، والتي تجمع المعلومات من محيط المشاهد والغبيي.

2- حدوث الإثارة الداخلية في النفس الإنسانية، جراء تعرضها للمثير، ولحاجة النفس له.

3- اتخاذ الموقف الإرادي أو اللاإرادي -في بعض الحالات الغريزية- واصدار الأوامر بالفعل أو التجنب تجاه المثير<sup>32</sup>.

وعلى ضوء هذا المسار المشار إليه آنفاً، يبني الإسلام موقفه في التعامل مع الإنسان وترتيب الجزاء على الفعل النهائي. لذلك نجد أن الإسلام يرفض منظور المدرسة التحليلية التي ترى أن السلوك هو نتاج للاوعي المسيطر على الإنسان، أو المدرسة السلوكية التي ترى أن الفعل البشري هو مجرد ردود أفعال حتمية. بل نجد الإسلام ينطلق في نظريته للسلوك من قاعدة "عقدية موضوعية"، يقوم على أساس الإيمان بوجود علاقة وثيقة بين ترتيب المسؤولية والجزاء على الفعل البشري وبين عدالة الله.<sup>33</sup>

بناء على ما سبق، نجد أن الإسلام في نظريته للسلوك، أولى أهمية كبرى لكل عنصر من العناصر التي تتعامل مع المثير، فنظمه ووضع الضوابط والمناهج التي توجهه نحو الخير. ووضع قواعد انضباطية للاحتراس من وجود المثيرات الشاذة والمحفزات نحو الفساد، ففعل على سبيل المثال نجد القرآن الكريم يحذّر المسلمين من مغبة إطلاق النظر في المحارم باعتباره من المثيرات البصرية، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30]. وتفادياً لوقوع الإنسان تحت تأثير هذه المحفزات الشاذة وضع الإسلام الموازين والمقاييس لانضباط الكلمة والفعل والموقف الإنساني. ووضع بالمقابل مناهج لإيجاد دوافع الخير ومحفزات الإصلاح والتكامل الإنساني، واستئصال كل وسائل الدفع والإثارة نحو الفساد والسقوط السلوكي.

لما كان لهذه المثيرات، وما ينتج عنها من دوافع ذات موقع أساسي في المنظومة السلوكية للإنسان، نجد المدرسة السلوكية في الإسلام قد عالجت هذه الإشكالية من حيث "الشكل" ومن حيث "الدافع". فمن حيث

<sup>32</sup> إبراهيم بوزيداني، رحلة القيم في عقول أبنائنا، ط1، (إسطنبول: الصفوة للدراسات الحضارية، 2024)، ص 54.

<sup>33</sup> أحمد عبد الرحيم السايح، الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، ص 195-199.

"الشكل"، يبرز مبدأ (الموضوعية الأخلاقية) مرة أخرى، أين جعلت الإرادة الإلهية هي المحدد الوحيد لأنماطه الراسمة لحدوده، وهذا كون كل مناحي المسموح والممنوع -أو القيم والمعايير- في حياة الإنسان قد وضّحتها المصادر الأساسية للتشريع، والتي تهدف في الأخير إلى خير الإنسان وسعادته. أما من حيث "الدافع"، فإن الإسلام يرى أنّ لا دافع ينبغي أن يعلوا على دافع تطبيق الأمر الإلهي. وهذا الدافع يجب أن يكون محصلة لتصديق جازم بصورة ذهنية، أساسها إيمان راسخ بوحداية الله تعالى، متصف بصفات الكمال، وهي ما يمثل الجانب الاعتقادي للعبودية أو الموضوعية الأخلاقية.

وبهذا نجد أن المدرسة النفسية الإسلامية تركيز على تحليل السلوك ورسم معالمة ، وتفكيك تفاصيله، وتوضيح مبادئه، ووعاياته، وما توسط ذلك من مثيرات ودافع ومسالك، نابع من كون الإسلام في صورته العامة يعتبر منهج حياة، والحياة هي عمل وسلوك، وبهذا اعتبر السلوك هو الثمرة التي يسعى الإنسان إلى العناية والاهتمام بها.<sup>34</sup>

### معادلة الفعل الإنساني والسياقات الخمسة للسلوك في القرآن

لما كان في الإنسان قابليتي "التأثر" و "التأثير"، وكان من الواجب صيانة قابلية التأثير لدى الإنسان حتى لا يكون مصدراً للأذى، ولكي لا يكون هو نفسه ضحية للمؤثرات الخارجية المنافية لفطرته السلمية، جاء القرآن الكريم مستوعباً لكل طرائق وأساليب قراءة وتصنيف الفعل البشري. بحيث لم يترك للإنسان أي فراغ معرفي في هذا الصدد. فنجدته تحدث عن خمسة سياقات عامة يمكن أن تتشكل فيها أو بها الحركة البشرية، وتتمثل في الآتي<sup>35</sup>:

أولاً- التصنيف العضوي البيولوجي: ورد في القرآن الكريم ذكر عدد من الأعضاء الفيزيولوجية المكونة للوجود المادي للإنسان، فمن خلال هذه الأعضاء وبآلية مباشرة أو غير مباشرة يوقع الإنسان الحركة أو الفعل. وقد جاء ذكر إثنان وستون (62) عضو بشري في القرآن الكريم، تشمل جميع أقسام الجسد الخارجية والداخلية، وردت في (645) آية<sup>36</sup>، وهو ما يعدّ دلالة ذات أهمية عالية في ضرور حفظ هذه الأعضاء واستخدامها بطريقة يحبها الله ورسوله. لأنها ستكون محلّ مساءلة يوم القيامة، ومثال ذلك ما جاء في قوله

<sup>34</sup> أحمد عبد الرحيم السايح، الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، ص 211.

<sup>35</sup> هذا التصنيف هو نتاج عملية استقرائية نفسية-شرعية للنصوص الواردة في كتاب الله عزوجل في سياق الحركة والفعل قام بها الباحث، وهو اجتهاد قابل لإعادة الضيافة والتطور، كما قد يكون مشروع بحث مستقبلي للمهتمين.

<sup>36</sup> Aydın, H., Ibrahim, A. I., (2024), Thematic and Semantic Analysis of Human Organs Mentioned in the Quran, *Fırat Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 29(2), pp. 17-39

تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24]، وقوله أيضا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

ثانياً- التصنيف المَوْضِعي -داخلي/خارجي:- جاء في القرآن الكريم أيضا، ذكرٌ للسلوك باعتبار الموضوع الذي يصدر منه السلوك والأفعال باعتبارها (داخلية -باطنية-) من أفكارٍ ومشاعرٍ، أو (خارجية) مثل الكلام، والبطش، وغيرها. ومثال ذلك ما جاء في قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: 90]، وقوله ﷺ أيضا: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 120].

ثالثاً- التصنيف النسقي: ويقصد به الفئات أو الأنساق الاجتماعية التي يتعامل معها الإنسان. فالإنسان في حالة مستمرة من عمليات التأثير والتأثر، فهو بطبيعة الاجتماعية في تداخل دائم مع مختلف الأنساق والموجودات حوله. ومثال ذلك قوله الله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

رابعاً- التصنيف الجغرافي -المكاني:- وهي الفضاءات الجغرافية التي قد يقع فيه الفعل البشري، فالإنسان قد يكون في بيته، أو خارجها، في البحر أو اليابسة، فهي كلها فضاءات مكانية يقع فيها نشاطه، وتكون شاهدة له أو عليه يوم القيامة، يقول الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 121]. ويقول ﷻ أيضا في موضع آخر: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: 14-24].

خامساً- التصنيف الزماني: والمقصود به السياق الزماني الذي قد تقع فيه الحركة أو الفعل البشري، فالزمان أحد الأبعاد الأصلية للكينونة البشرية، فلا يمكن أن يقع الفعل في نقطة خارج الزمان، فبانقضاء الحيز الزمان الذي يشملها، يكون قد خرج من عالم التكليف على عالم المساءلة والحساب. يقول الله ﷻ في هذا السياق: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأنعام: 60].



هذه المقاربة القرآنية التكاملية في تصنيف السلوك ضمن السياقات الخماسية سابقة الذكر، تمنح الإنسان سعة الأفق في فهم سلوكه من جهة، كما تمنحه آلية تحليل دقيقة تساعد على تشخيص بؤر الانحراف، ونقاط القوة في سيره لتحقيق جوهره والحفاظ على فطرته المتمثل في (إنسانيته)، وهذا من خلال الحرص على أن تكون كل مخرجاته السلوكية على مستوى الأنساق الخمسة خاضعة للموضوعية الأخلاقية، لتحقيق العبودية التامة، وبالتالي يكون في دائرة الحنفية السمحة، المحققة لقوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

### مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان

إن الغاية الأسى التي تطمح إليها المدرسة النفسية الإسلامية، كما أشرنا سابقاً هي التوجيه الرشيد لسلوك الإنسان مؤثراً ومتأثراً من أجل تحقيق إنسانيته، عن طريق تحقيق عبوديته، ولن تتحقق هذه العبودية التامة إلا من خلال الاستجابة للمنهج المستمد من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ليُحصَل في الأخير الحياة الحقيقية المتمثلة في حياة القلب والروح، كما وعده الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24]. لذلك فالإنسان في حاجة إلى تطوير وأدوات وتقنيات تعينه على متابعة حركاته وسكناته، وتقييم سلوكيات ليرى مدى توافقه مع ما يوصله للحياة الطيبة. فالسلوك، كما وضحنا في الفقرات السابقة قد يفتقره الإنسان ليلاً أو نهاراً، صباحاً أو مساءً، ويباشره بأحد جوارحه، يده أو رجله أو فمه. كما أنه قد يكون مع صديقه أو قريبه أو غيرهما. ... إلخ، وهي السياقات السلوكية الخمسة التي فصلناها سابقاً.

لكن وقبل الحديث عن الشكل النهائي لـ (مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان)، يجب الإشارة إلى بعيدتين هامتين يتعلقان بالموضوعية الأخلاقية أو السلوكية، كنا قد أشرنا إليها باقتضاب في حديثنا عن تعريف (العبادة)، وهما مسألة (النية)، و (دورية السلوك).

السلوكات البشرية سابقة الذكر في مختلف سياقاتها، تُصنَّف في الأخير حسب دوريتها إلى أحد الأنواع الثلاثة:

1. الأفعال تلقائية: وهي تلك الأفعال التي تصدر عن الإنسان بعفوية ودون قصد منه ولا رغبة، (مثل: السرحان، والنسيان، وحركة اليد عند الكلام، ... إلخ).

2. الروتين اليومي: وهي تلك الأفعال التي يقوم بها الفرد من أجل إنجاز ضروريات الحياة، وقد تكون -أو لا تكون- فيها متعة أو أذى (مثل: الحركات التي نقوم بها عند تحضير الطعام، وتنظيف البيت، والسير للعمل، ... إلخ).

3. العادات: وهي تلك الأفعال المقصودة ابتداءً، والآلية لاحقاً، كنتيجة للتكرار والتدريب، حتى تصبح سجية مع مرور الزمن<sup>37</sup>.

لكن تجدر الإشارة في هذا الباب، أن كل الأفعال السابقة قد تتحول إلى عبادات إذا حَضَرَ بعد آخر وهو (النية) والقصد والتوجه السليم لله عز وجل. كما أن العكس صحيح أيضاً، فالعبادات إذا غابت عنها النية والقصد والتوجه، قد تصبح أفعالاً تلقائية أو روتين أو عادات<sup>38</sup>، قال رسول الله ﷺ: (... وفي بُضْع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، يأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)<sup>39</sup>. ومن الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الناس هو أنهم يقللون من قيمة العادة، أو أنهم ينظرون إليه -بسبب البرمجة النفسية المسبقة- على أنها أمر سلبي. لكن الحقيقة هي أن العادات هي أساس سلوكي مهم في رسم شخصية الإنسان، وفي الحديث: (الخير عادةٌ، والشرُّ لَجَاجَةٌ، ومن يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين)<sup>40</sup>، فالعبادات من ناحية دوريتها -لا من ناحية أنها أقوال وأفعال مخصصة-<sup>41</sup> وتكرارها هي (عادة) سلوكية، لكن النية والقصد هو من أرتقى بها لمصاف القداسة والاعتبار الأخروي. لكن العبادة نفسها، قد تعد سلوكاً بعيداً عن القداسة إذا غابت عنه النية والقصد. وهذا مصداقاً لقول رسول الله ﷺ، في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنَّما الأعمال بالنيَّة،

<sup>37</sup> للمزيد يمكن الرجوع ل: نوبير سلامي، المعجم الموسوعي لعلم النفس، ترجمة: وجيه الأسعد، ج 4، باب العين، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2001)، ص: 1572.

<sup>38</sup> عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر [شرح] تسهيل العقيدة الإسلامية، ط2، (الرياض: مكتبة الرشد، 1424هـ)، ص: 8.

<sup>39</sup> محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط2، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1999)، حديث رقم: 1386، ص 222.

<sup>40</sup> أبو عبد الله ابن ماجه القزويني، السنن، تحقيق: عصام موسى هادي، ط1، (الرياض: دار الصديق، بيروت: مؤسسة الريان، 2010)، حديث رقم: 221، ص 78.

<sup>41</sup> نؤكد في هذا الصدد أننا لا ننكر الفرق بين العبادات والعادات من ناحية الطرح الفقهي الشرعي، وما نود التركيز عليه في هذه الورقة، هو التناول السلوكي للفعل الإنساني، الذي يسعى لبناء عادات سلوكية كلية، تنسجم مع أسس الدين وركائزه. ونشراً للتوضيح، تكون العبادات عادات من حيث أنها دورية وتتكسر بوعي وإدراك، وعبادات من ناحية المحتوى الإيمان، والتوجه الروحي للخالق سبحانه. بل تعتبر عادة جوهريّة، وبمثابة الجبال الرواسي التي تحافظ على ميزان النفس، مثلها مثل جبال الأرض التي جعلت أوتاداً لتثبت الأرض. ومن هنا يأتي مبدأ التجديد والرفق الروحي. حيث تتجدد المعرفة الدينية للإنسان ومعها ترتقي العلاقة الروحية مع الخالق سبحانه. فالسلوك ثابتة متكرّر، والروح والمعرفة متجددة مرتقية في معارج العرفان والإيمان، تتقلب بين مرتبة الإيمان والإحسان، ومنازل إياك نعبد وإياك نستعين.

وَأَنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ..<sup>42</sup>، وقد ورد عن الثوري أنه قال: "كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل"، وقال بعض السلف: "رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية"<sup>43</sup>

بناء على كل ما سبق، وبالجمع بين آلية التصنيف السلوكي، ودوريتها، نحصل على ما يمكن الاصطلاح على تسميته بـ (مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان)، أنظر الجدول رقم (01). هذه الأخيرة تساعدنا على تصنيف العادات بدقة، ومعرفة حقيقتها، وبالتالي تساعدنا على دعمها وتطويرها إن كانت إيجابية، أو التخلص منها إن كانت سلبية.

جدول رقم (01): مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان<sup>44</sup>

|            |             | التصنيف العضوي<br>البيولوجي |       |       |     |     | التصنيف الموضوعي -<br>الحالي |       |      |     |      | التصنيف النسقي |       |        |       |        | التصنيف المكاني |       |          |        | التصنيف<br>الزمني |       |       |  |
|------------|-------------|-----------------------------|-------|-------|-----|-----|------------------------------|-------|------|-----|------|----------------|-------|--------|-------|--------|-----------------|-------|----------|--------|-------------------|-------|-------|--|
|            |             | اليَد                       | الرجل | العين | ... | ... | ظاهري                        | باطني |      |     |      | النفس          | الخلق | الخائف | الكون | الحياة | البيت           | العمل | مكان عام | صباحاً | ظهراً             | عصراً | ليلاً |  |
|            |             |                             |       |       |     |     |                              | عاطفة | روحي | فكر | نفسي |                |       |        |       |        |                 |       |          |        |                   |       |       |  |
| تلقائي     | بنية        |                             |       |       |     |     |                              |       |      |     |      |                |       |        |       |        |                 |       |          |        |                   |       |       |  |
|            | بدون<br>نية |                             |       |       |     |     |                              |       |      |     |      |                |       |        |       |        |                 |       |          |        |                   |       |       |  |
| روتين يومي | بنية        |                             |       |       |     |     |                              |       |      |     |      |                |       |        |       |        |                 |       |          |        |                   |       |       |  |
|            | بدون<br>نية |                             |       |       |     |     |                              |       |      |     |      |                |       |        |       |        |                 |       |          |        |                   |       |       |  |
| عادة       | بنية        |                             |       |       |     |     |                              |       |      |     |      |                |       |        |       |        |                 |       |          |        |                   |       |       |  |
|            | بدون<br>نية |                             |       |       |     |     |                              |       |      |     |      |                |       |        |       |        |                 |       |          |        |                   |       |       |  |

### كيف تستخدم هذه المصفوفة، وما هي أغراضها؟

تعتبر هذه المصفوفة أداة تشخيص وتتبع للمنظومة السلوكية للإنسان المسلم. حيث تساعد على معرفة مواطن القصور في أسلوب حياته، فلما كان الهدف الأسى للإنسان هو تحقيق (الحياة الطيبة)، التي هي ثمرت إلزام الإنسان بموضوعية الأخلاق -العبودية-، وفطرية البصيرة -تحقيق إنسانيته، كان إلزاماً عليه أن

<sup>42</sup> أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، اعني به: ياسر حسن، عز الدين ضلي، عماد الطيار، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2009)، حديث رقم: 2329، ص 410-411.

<sup>43</sup> مرتضى الزبيدي، إتخاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج 10، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1994)، ص 12.

<sup>44</sup> هذا المصفوفة هي نتاج جهد المؤلف حيث تم دمج التصنيفات القرآنية للفعل البشري مع دوريته وتكراره. وهو أيضاً أجهاد قابل لإعادة الضيافة والتطوير، من طرف المهتمين.

يكون صاحبة همة في تتبع سلوكاته والرقى بها إلى مصاف الأعمال والأقوال التي يحبها الله ويرضاها الباطنة منها والظاهرة، ويحقق مطلب الإيمان الذي ورد في الحديث: (لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ)<sup>45</sup>.

وكما هو معروف في مجال الصحة النفسية، فإن الإنسان يعيش حياته ضمن ثلاث وضعيات<sup>46</sup>، وهي:

1- الإنماء أو الإنشاء (Developmental or Promotional): وهو زيادة كفاءة الإنسان الكفاء، وإلى دفعه لإبراز أقصى مكامن الخير والصلاح فيه.

2- الوقاية (Prevention): أو التحصين النفسي، حيث يسعى الإنسان في هذه الحالة إلى تحصين نفسه من الوقوع في مشاكل أو اضطرابات سلوكية، أو انحرافات أخلاقية. وهو خاص بالإنسان السوي الذي يحوهم حول حمى الحرام وخالط الشبهات – بالمفهوم الشرعي-.

3- العلاجي (Therapeutic): وهناك يكون الإنسان قد وقع في انحرافات سلوكية، أو مشاكل اجتماعية، أو تقصير أخلاقي وتعبدية – بالمفهوم الشرعي-.

هذه الوضعيات الثلاث، تتوفق مع حالات ثلاثة قد يعيشها الإنسان المسلم، يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32]، ﴿ظالم لنفسه﴾ هو: المفرط في بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، ﴿ومقتصد﴾ هو: المؤدي للواجبات، الترك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، ﴿وسابق بالخيرات﴾: وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات<sup>47</sup>. وبإسقاط سلوكي وظيفي، نجد أن:

1- المؤمن الظالم لنفسه هو في حالة مرضية تتطلب العلاج، من أجل التخلص من الانحراف السلوكي، والرقى بأعماله الخيرة.

2- والمؤمن المقتصد هو في موقع التحصين، في موقع قرب من الرقي، وفي نفس الوقت قريب من الانحدار في مطبات الذنوب والأخطاء، فبالتالي حالة تحتاج إلى وقاية.

<sup>45</sup> ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، ط7، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997)، ص 393

<sup>46</sup> حمدي عبد الله عبد العظيم، مهارات التوجيه والإرشاد، سلسلة تنمية مهارات الأخصائي النفسي (1)، ط1، (الجيزة: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2012)، ص 79-80.

<sup>47</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: يوسف علي بديوي، حسن السماحي سويدان، ج3، ط1، (دمشق: دار ابن كثير، 2013)، ص 878-883.

3- والسابق في الخيرات، هو إنسان كفاء، منجزٌ محقق لعبوديته، وإنسانيته، لكنّه يطمح دائماً للزيادة وينشد دوماً الرقي السلوكي والروحي، فهو بهذا في حالة إنماء وإنشاء دائمتين.

وعليه، فإن (المصفوفة) ستساعد المؤمن الظالم لنفسه على تتبع مداخل الزلل، فيحدد، مكانها، وزمان وقوعها، والسياق الاجتماعي الذي تقع فيه، والعضو الجسدي الذي يستخدم لوقوعه، والموضع -ظاهري أو باطني-. وتساعد المقتصد على واقاية نفسه من الزلل، والابتعاد عن مواطن الإثم، وكذا السابق بالخيرات، فمن خلال هذه المصفوفة يكون قادراً على إدراك مكان القوة والقصور إن وجد، ويكون في حالة دائمة من المراقبة والمتابعة.

يبقى أن نشير في الأخير عن المدة الزمنية اللازمة للتخلص من عادة سيئة أو سلوك غير مرغوب ، وبالمقابل تشكيل عادة حسنة يرغب الإنسان في تحصيلها. أثبتت الدراسات الميدانية أن العادة تتشكل في مدة تتراوح بين 3 أسابيع إلى 9 أشهر<sup>48</sup>، وهذا الاختلاف راجع طبعاً إلى مجموعة من المتغيرات المتعلقة بالعادة في حد ذاتها أو الشخص الذي يتدرب على تشكيلها، أو تتعلق بالسياق المحيط بالشخص. وعليه فيمكن استخدام هذه (المصفوفة) تتوافق وخصائص الفرد المستخدم، لكن في كل الأحوال لمدة لا تقل عن ثلاثة (03) أسابيع.

#### خاتمة

كان من المخطط له في هذه الدراسة، إضافة مبحث آخر يتعلق بمركزية (القلب) في المنظومة السلوكية للإنسان، باعتباره المضغة التي يتعلق صلاح الجسد وفساده بها، وكذا التطرق إلى محورية الوسواس والخطرات، التي تطرأ على القلب، فتكون مصدراً دافعاً للخير أو الشر، باعتبار خاصيتي (التأثير) و (التأثير) اللتان يتميز بهما الإنسان. لكن سنكتفي بإثارة بعض النقاط الهامة في هذا الصدد، لعلها تكون معالم دالة لجهود بحثية مستقبلية ، تفتح آفاق تطوير (مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان) لتستوعب أبعاد تحليلية أعمق للنفس البشرية والسلوكي الإنساني على حد سواء.

إن الإنسان -كما تشير الدراسات- يستجيب للمواقف الحياتية المختلفة بـكليته روحه وجسده. وقد استعمل الوحي كلمة "قلب" لتعيين هذه القيادة الموحدة التي توجه سائر أعضاء الجسد. حيث يعتبر القلب<sup>49</sup>، محل الإدراك -الأفكار-، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: 46]، وهو أيضاً محل الانفعال والمشاعر: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ

<sup>48</sup> Verplanken, B., & Orbell, S. (2022). Attitudes, habits, and behavior change. Annual Review of Psychology, 73, 327–352.

<sup>49</sup> محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، ص: 269.

وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ [الحديد: 16]، والقلب أيضا محل الإرادات أو النيات: قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 05].

لذلك نجد أن الكفر والإيمان والنفاق تتعلق بالقلب. وهذا تقسيم لأصناف البشر باعتبار توجهاتهم القلبية الكلية، غير التقسيم الذي تطرقنا إليه في طريقة استخدام (المصفوفة)، والذي كان يتعلق بأصناف المؤمنين حصراً. فلكل قلب من القلوب الثلاثة سابقة الذكر فكرٌ ومشاعرٌ وإرادات، ويأتي السلوك ليصدق ذلك أو يكذبه. لكن أحد أهم الإشكاليات الكبرى في علم النفس المعاصر –المؤسس على المنطق المادي- تتمثل في الآتي: كيف تبدأ حركة الإنسان وكيف تتشكل أفكاره ومشاعره ومن ثم أفعاله، وعاداته؟ في منظور المدرسة النفسية الإسلامية، يعتبر إلهام الملك أو وسوسة الشيطان أو نفس منبع الأفكار ومنشأها. فإذا قبل القلب هذه الوسوسة أو الإلهام صارت الخاطرة فكرة. وأصبحت ملكاً لصاحب القلب. وهذه الفكرة قد تصير إرادة، والإرادة قد تصير عزيمة والعزيمة فعلا والفعل عادة. فمبدأ الأمر كله إما وسوسة أو إلهام.

وبناء عليه، نقترح تطوير أداة تحليل نفسي لتتبع تطورات الإلهامات والوسواس، من أجل التحكم في بناء العادات الحسنة، و سدِّ الذريعة أما الوسواس المشكلة للعادات والسلوكات الرديئة. وهو مشروع بحثي مهم، يكون خطوة متقدمة تسبق استخدام مصفوفة تصنيف السلوك، فالأولى تقنية تحليل متقدمة تتابع منبع الأفكار وتركز على تفكيك عمل القلب (الأعمال الباطنية)، أما المصفوفة فتتابع السلوكات والظاهرة وتكشفها.

## المراجع

### أولاً- العربية

- إبراهيم بوزيداني، رحلة القيم في عقول أبنائنا، ط1، (إسطنبول: الصفوة للدراسات الحضارية، 2024).
- ابن الصلاح الشهرزوري، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق: موفق عبد الله بن عبد القادر (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1986).
- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، ط7، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997).
- أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ).
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، اعتني به: ياسر حسن، عز الدين ضلي، عماد الطيار، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2009).
- أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج3، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ).
- أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج8، ج15-16، (الآية (1) سورة الإسراء-الآية (135) سورة طه)، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994).
- أبو عبد الله ابن ماجه القزويني، السنن، تحقيق: عصام موسى هادي، ط1، (الرياض: دار الصديق، بيروت: مؤسسة الريان، 2010).
- أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية مقارنة، ط1، (المغرب: الدار المغربية للنشر والتوزيع، 2024).
- أحمد عبد الرحيم السايح، الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2006).
- أحمد واعظي، الإنسان من منظور الإسلام، ترجمة: عبد الله ألـبوغبيش، ط1، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2016).

إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: يوسف علي بديوي، حسن السماحي سويدان، ج3، ط1، (دمشق: دار ابن كثير، 2013).

جيرى بروتون، عصر النهضة: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: إبراهيم البيلي محروس، مراجعة: هبة نجيب مغربي، ط1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014).

حمدي عبد الله عبد العظيم، مهارات التوجيه والإرشاد، سلسلة تنمية مهارات الأخصائي النفسي (1)، ط1، (الجيزة: مكتبة أولاد الشيخ للثروات، 2012).

الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق: عبد المجيد النجار، ط1، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1988).

روبرت أغروس، و جورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال خلايلي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989).

عبد الحليم بن تيمية، شرح العبودية، شرح: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ط1، (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 1998).

عبد الفتاح عبد الله بركة، دراسة ونصوص في التصوف والأخلاق، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1400هـ).

عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر [شرح] تسهيل العقيدة الإسلامية، ط2، (الرياض: مكتبة الرشد، 1424هـ).

فريدل فاينرت، كوبرنيكوس وداروين وفرويد: ثورات في تاريخ وفلسفة العلم، ترجمة: أحمد شكل، مراجعة: محمد فتحي خضر، (المملكة المتحدة: مؤسسة الهنداوي، 2017).

محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط2، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1999).

محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، ط1، (الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، 2010).

محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، ط2، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2002).



مرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج 10، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1994).

مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلامية، ط2، (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، 2003).

نزار العاني، الإسلام وعلم النفس: مسرد "ببيلوغرافيا" لبحوث ودراسات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ط1، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008).

نوبير سلامي، المعجم الموسوعي لعلم النفس، ترجمة: وجيه الأسعد، ج4، باب العين، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2001).

### ثانيا- الأجنبية

Aydın, H., Ibrahim, A. I., (2024), Thematic and Semantic Analysis of Human Organs Mentioned in the Quran, *Firat Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 29(2), pp. 17-39.

Brennan, J. F., **History and systems of psychology**, (New Jersey: Prentice-Hall, 1998).

Colman Andrew, M., **Oxford Dictionary of Psychology**, 2<sup>nd</sup>. Ed, (Oxford University Press, 2006).

Loewenthal, Kate, M., **The Psychology of Religion: A Short Introduction**, (Oxford: Oneworld Publication, 2010).

Vears, D.F., & Gillam, L., "Inductive content analysis: A guide for beginning qualitative researchers. **Focus on Health Professional Education**", A Multi-Professional Journal. 23/1 (2022): 111-127.

Verplanken, B., & Orbell, S. (2022). Attitudes, habits, and behavior change. *Annual Review of Psychology*, 73, 327–352.